٢٠ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

قلت ـ نعم ولكن لم يُرْوَ عن هرقليس نفسه أنه نازل اثنين

فقال ـ ادْعُني إذن ، وسأكون لك أيولاوس حتى تغرب الشمس

قلت ـ سأدعوك ، لا كما يدعو هرقليس أيولاوس ، ولكن كما كان يفعل أيولاوس لو كان يدعو هرقليس

قال ـ لا فرق بين هذا وذاك ، ولكن لنأخذ الحذر أولاً لكي نتقى خطراً

قلت ـ وما ذاك ؟

أجاب ـ خطرٌ أن تتمكن منا كراهةُ المنطق ، فذلك من أسوأ ما قد يصيبنا من أحداث ، فكما أن ثمة أعداء للانسانية وهم من يمقتون البشر ، كذلك هنالك من يكرهون المنطق وهم من يمقتون المثُل ، وكلاهما ناشئٌ من سبب بعينه ، هو الجهل بالعالم ، فتجيءُ كراهة البشر من الغلو فى الركون إلى عدم الخبرة ، فأنت تثق برجل ، وتظنه مخلصاً تمام الاخلاص ، وخيراً وأميناً ، ثم لا يلبث أن يتكشف لك زائفاً خبيثاً ، وهكذا غيره وغيره . فاذا وقع ذلك لانسان مرات عدة ، وبخاصة من جماعة أصدقائه الذين يظنهم أشد الناس إخلاصاً له ، وكثر النزاع بينه وبينهم ، فانه ينتهى آخر الأمر إلى كراهة الناس جميعاً ، ويعتقد أن ليس بين الناس على الاطلاق صاحب خير . أحسبك بغير شك قد لاحظت هذا

قلت ـ نعم

ـ أليس ذلك مدعاة للخزى ؟ وسببه أن الانسان فى اضطراره إلى معاملة سائر الناس ، لا يكون لديه بهم علم ؛ لأنه لو عرفهم لعرف الأمر على حقيقته ، وذلك أن ذوى الخير قليلون ، وأن ذوى الشر قليلون ، وأن الكثرة الغالبة هى فيما يقع بين هذين

قلت ـ ماذا تعنى ؟

أجاب ـ أعني أنه كما قد تقول عن بالغ الكِبَر وبالغ الصغَر ، بأنه ليس أندر من رجل بالغ الكبر ، أو رجل بالغ الصغر ، فهذا ينطبق بصفة عامة على النهايات ، سواء أكان ذلك عن الكبير والصغير ، أم السريع والبطيءْ ، أم الكدر والصافى ، أم الأسود والأبيض ، وسواء ضربت أمثلة ناساً أوكلاباً أو أى شيءٍ آخر ، فقليلون هم النهايات ، أما الكثرة فتتوسط بين النهايات ، أو لم تلاحظ هذا قط ؟

قلت ـ نعم لاحظته

قال ـ ثم ألست ترى أنه لو كان بين الشرور تنافس ، لوجد أن قليلاً جداً منها هو أسبقها فى الشر ؟

قلت ـ نعم ، فذاك أرجح الظن

أجاب : نعم ذاك أرجح الظن ، ولست أعنى أن مَثَلَ الأحاديث فى هذا مثلُ الناس ـ وأراك هاهنا قد حملتنى أن أقول أكثر مما اعتزمت أن أقول ، ولكن وجه المقارنة هو أنه إذا ما آمن رجل ساذج ، لا يحذق علوم الكلام ، بصحة دليل ، وخيل اليه فيما بعد أنه باطل ، سواء أكان باطلاً حقاً أم لم يكن ، ثم تكرر هذا فى غيره وغيره ، فلا تبقى للرجل عقيـدة واحدة ، وينتهى الأمر كما تعلم بكبار المجادلين الى الظن بأنهم قد باتوا

فهى تأمل أن يعتـذر الحبيب اليها . . . يدق التليفون فتسرع اليه ، كما يسرع الغريق الى قارب النجاة ... ياللخيبة ! ليس هو الحبيب الذى يتكلم ، بل هو انسـان آخر قد أخطأ الرقم ، يدق التليفون من جديد فتهرع اليه الفتاة ، فاذا المتكلم سيدة تسأل عن (س) الجزار . . . ! ثم يدق التليفون مرة ثالثة ، فى هـذه المرة هو الحبيب الخاطب المتكلم ، لأن الفتاة اغتبطت فجأة اغتباطاً عظيما كأنها ربحت اليانصيب الارلندى . . الخاطب يسألها عن سبب تأخرها لأنه ظل ينتظرها ساعتين كاملتين فى المقهى ، وكان انتظاره فى مقهى آخر ، إذ أخطأ اسم المكان ! الفتاة تسرع فى الذهاب اليه ، وقد زال عنها همها فى غمضة عين ، إنها تهبط الدرج نهباً أثناء النزول ، فتزلّ قدمها وتسقط سقطة مؤلمة ، ولكنها لا تحس ألماً ، بل تضحك من أجل هذا ضحكاً متواصلاً . ثم أخذت تفكر مرة أخرى فى تبنيّ الطفلة الفقيرة ، وفى إسعاف الكلب الجريح ! . .

كريمة ابنة هانئ حسين شرقي

أحكم بنى الانسان ، لأنهم هم وحدهم الذين أدركوا ما فى التدليلات كلها من تزعزع وضعف شامل ، لا بل أدركوا ذلك فى الأشياء جميعاً ، وهى تظل صاعدةً هابطةً فى مدٍّ وجزر لا ينقطعان ، كما هى الحال فى تيار يوريبوس

قلت : هذا جد صحيح

أجاب : نعم يا فيدون ، ولشد ما يبعث على الأسى أيضاً أن يصادف انسان تدليلاً هنا أو هناك ، فيبدو له أول الأمر أنه حق ، ثم يتكشف له عن باطل ، فبدلاً من أن ينحو باللائمة على نفسه وعلى ما يعوزه من ذكاء ، تراه لحنقه آخر الأمر ينتبط شديد الغبطة فى ازاحة اللوم عن عاتقه ليلقيه على التدليل بصفة عامة ، ويظل بعد ذلك الى الأبد كارهاً لاعناً لكل تدليل ، فتفلت منه حقيقة الوجود وعرفانه ، لو كان ثمت ما يسمى بالحقيقة أو اليقين أو القدرة على المعرفة إطلاقاً

قلت : نعم ، إن ذلك ليبعث على الحزن الشديد

قال : فلنحاول إذن بادىء ذى بدء ، أن نسلم فى نفوسنا بالفكرة القائلة إنه لا حقيقة ولا عافية ولا قوة فى أى تدليل على الاطلاق ، ولنعلن قبل ذلك أن ليس فينا نحن الآن عافية وأنه يجب أن نطلق فينا العنصر الانسانى ، ونسعى جهدنا فى اكتساب العافية — فتكسبها أنت وسائر الناس جميعاً من أجل حياتكم المقبلة كلها ، وأما أنا فمن أجل الموت ، فلست أحسُّ الساعة أنى مُتَخَلق بخلق الفيلسوف ، وما أنا فى الرأى إلا مشايع كأفراد السوقة ، وليس يعبأ المتشيع ، حينما يلج فى المخاصمة ، بأوجه الصواب من الموضوع ، بل يحرص على إقناع سامعيه بأقواله وكفى ، وليس بينه وبينى فى اللحظة الراهنة من فرق إلا هذا — بينا هو يحاول إقناع سامعيه بصحة ما يزعم ، تراني أحاول إقناع نفسى قبل كل شىء ، فاقناع سامعىّ أمر ثانوى بالنسبة الىّ . ولتنظرن كم عسى أن أفيد بهذا ، فلو كان ما أقوله صحيحاً فما أجل أن أكون مقتنعاً بالحقيقة ، وأما إن كان لاشىء بعد الموت ، فسأوفر على أصدقائى هذا العويل فيما بقى من حياتى من أجل قصير ، هذا وسترتفع عنى جهالتى ، ولهذا فلن يقع منى ضرر . أى سمياس وسيبيس ، تلك هى الحالة العقلية التى أتناول بها الحوار ، وإنى أطلب اليكما أن تفكرا فى الحقيقة لا فى سقراط ؛ فان رأيتما أنى أتكلم حقاً فوافقانى وإلا فقاوماني بكل ما وسعكما من جهد ، حتى لا أخدعكما جميعاً كما أخدع نفسى ، وحتى لا أكون لكما كالنحلة ، فأدع فيكما لُحمتى قبل موتى

قال : والآن دعنا نمضى ، ولأتأكد منك قبل كل شىء أن ما فى ذهنى يطابق ما كنتَ تقوله ، فإن كنتُ مصيباً فيما أتذكر ، فقد كان لدى سمياس مخاوف وشكوك أن تكون الروح أسبق إلى الفناء ، ما دامت فى عبارة عن انسجام ، على الرغم من أنها أشد من الجسد ألوهية وصفاء . وقد بدا سمياس من جهة أخرى أنه يسلم بأن الروح أطول من الجسد بقاء ، ولكنه قال : إن أحداً لا يستطيع أن يعلم إن كان يمكن للروح بعد أن تكون قد أبلت أجساداً عدة ، أن تفنى هى نفسها ، مخلِّفة وراءها آخر أجسادها ، وأن هذا الموت الذى يجلب الدمار للروح لا للجسد ، لأن فعل التخريب لا يفتأ عاملاً فى الجسد أبداً . أليست هذه ، يا سمياس وسيبيس ، هى النقط التى تستوجب منا النظر ؟

فوافق كلاهما على أن ذلك تقرير لرأيهما

فمضى سقراط : وهل تنكران ما فى الحوار السابق كله من قوة ، أم تنكران ما فى بعضه فقط ؟

فأجابا : بل ما فى بعضه فقط

قال : وماذا ارتأيتما فى ذلك الجزء من الحوار الذى ذكر فيه أن المعرفة عبارة عن تذكر فحسب ، واستنتجنا منه أن الروح لا شك كانت موجودة فيما سبق ، فى مكان آخر ، قبل أن تنحصر فى الجسد ؟ فقال سيبيس إنه قد تأثر بذلك الجزء من الحوار تأثراً عجيباً ، وأنه لبث فيه راسخ اليقين ، ووافقه سمياس ، وأضاف أنه عن نفسه لم يكد خياله يجيز أن يجئ يوم يرى فيه حول ذلك رأياً مخالفاً لهذا

فاستأنف سقراط : ولكن يجدر بك ، أى صديق الطيبى ، أن ترى رأياً مخالفاً ، لأنك إن أصررت على أن الانسجام مركَّبٌ وعلى أن الروح انسجامٌ نشأ من أوتار رُكِّبت فى أطار الجسد ، فلا ريب أنك لن تجيز لنفسك القول بأن الانسجام سابق للعناصر التى يتألف منها الانسجام[1]

— كلا يا سقراط فذلك مستحيل

(يتبع)

زكى نجيب محمود

(١) قال سمياس لسقراط : إنه مقتنع بمذهب التذكر الذى يتضمن وجود الروح قبل حلولها فى الجسد ، فيجيبه سقراط : إن هذا المذهب لا يتفق مع عقيدته بأن الروح عبارة عن انسجام بين أعضاء الجسد ، لأنه يستحيل أن يوجد انسجام الأعضاء قبل وجود الاعضاء نفسها ، وبالتالى يستحيل وجود الروح قبل وجود الجسد